REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabes

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصّص: (أدب جزائري)

الكتابات الجداريّة في منطقة قالمة

–مقاربة أنثروبولوجية–"

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): هنية طرش

الطالب (ة): سوسن بوزيغة

تاريخ المناقشة: 22 / 06 / 2024

أمام اللجنة المشكّلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسّسة الانتماء	الصّفة
العايش سعدوني	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
حنان بن قيراط	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
إبراهيم كربوش	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023

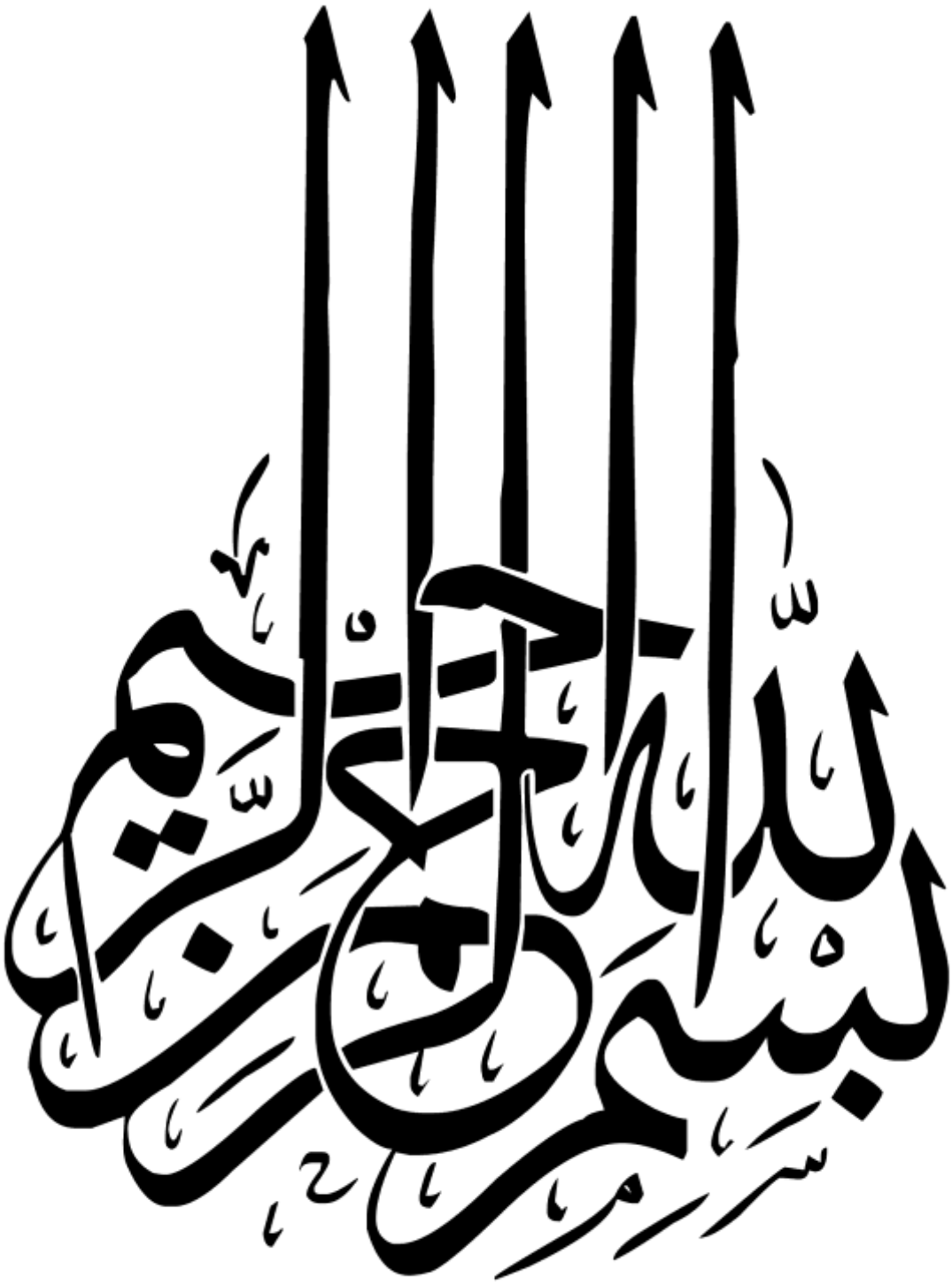
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حمدًا كثيرًا حتّى يبلغ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين خاتم الأنبياء والرّسل أشرف مخلوق أناره الله بنوره واصطفاه

والحمد لله الذي أمدّنا بنعمة العلم، ووفقنا لإتمام هذا البحث، وبعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تقدمنا بإنجاز هذا العمل المتواضع

نتقدّم بجزيل الشّكر والتّقدير والاحترام وأسمى العبارات للدكتورة "حنان بن قيراط" لما قدمته لنا من نصائح وإرشادات وتوجيهات طيلة إنجاز هذا البحث، فلولا الله عزّ وجلّ ثم وجودها لما أحسسنا بمتعة العمل وحلاوة البحث

كما نتقدّم بجزيل الشّكر إلى أعضاء المناقشة الموقرة كل باسمه على تفضلهم بمناقشة المذكرة

كما لا يفوتنا أن نخصّ بالشّكر والامتنان لأهالينا الذين قدّموا لنا يد العون والمساعدة وساندونا في كل خطوة فتحدينا الصّعاب

وكل التحية والتّقدير إلى من ساعدنا في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو بعيد

مقدّمة

كان الإنسان منذ العصور القديمة والحديثة يستخدم فنّ الكتابة من أجل التّعبير عن حالاته النفسيّة وإخراج مكبوتاته؛ إذ أنّ الكتابة قد احتلت مكانة كبيرة في حياة الإنسان، فهي لا تزال موجودة عند بعض الشّعوب البدائيّة في وقتنا الحالي كونها نظام من الرّموز المرسومة التي يمكن استخدامها للتّعبير عن المعنى ونقله.

وتعدّ ظاهرة الكتابة على الجدران حقلا من حقول الفن التّشكيلي أي الرّسم على الحائط لأغراض متعدّدة، ومرجعيات خاصة تجعله يستخدم فيها أدوات خاصة بطريقة فنية تحمل عبارات ذات مغزى معيّن، وقد يتم الاعتماد على الرّسم كوسيلة من وسائل المساعدة في توصيل هذه الأفكار إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص، وتحديد الذين لا يفهمون لغة الكتابة المستخدمة في الكتابة على الجدران.

وهذا ما حاولنا دراسته في بحثنا وبيانه أكثر من خلال القيام بدراسة حول الكتابات الجداريّة، وكان موضوعنا موسوما بـ "**الكتابات الجداريّة في منطقة قالمة –مقاربة أنثروبولوجية–**".

وقد دعانا تفكيرنا في طبيعة هذا الموضوع للتّساؤل حول إشكالية كبرى هي: **فيم تمثّلت موضوعات الكتابات الجداريّة في منطقة قالمة؟**

وقد تفرعت عنها مجموعة إشكاليات فرعية أهمها:

- ✓ **ماهي الكتابات الجداريّة؟**
- ✓ **ماهي مجالاتها والمعايير التي جسدتها، ولماذا؟**
- ✓ **ماهي الخصائص الفنّية التي تحتويها الكتابات الجداريّة؟**

وانطلاقا من هذه الإشكاليات عملت دراستنا على تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- ✓ معرفة مدى التّواصل بين الأفراد، ومدى تعبيرهم عن خلجات نفوسهم من خلال لغة الكتابات الجداريّة التي عملت على إبراز مواهب فئة الشّباب.
- ✓ تحليل وتفسير الجداريات التي تحتوي العديد من الرّسائل والعبارات والدّلالات.

وهذا يدلنا على مكانتها وأهميتها لدى الشّباب والمراهقين، وكل من يهتم بها بمن فيهم المختصين والدّارسين.

وقد قام بحثنا على خطّة منهجيّة بدأناها بمقدّمة، ففصل نظريّ وآخر تطبيقي فخاتمة؛ أمّا الفصل الأول المعنون بـ **"مفاهيم في الكتابة الجداريّة"** فقد تناولنا فيه: تعريف الكتابة الجداريّة، وخصائصها، وتطورها عند الغرب والعرب، وتطرقنا أيضا إلى الكتابة الجداريّة والهامشيات، وسلطنا الضّوء في الفصل التّطبيقي المعنون بـ "**التّحليل الأنثروبولوجي لعيّنة من الكتابات الجداريّة**" على بعض النّماذج وتصنيفها حسب طبيعة موضوعاتها، وكذا تحليلها أنثروبولوجيا، أمّا الخاتمة فعرضنا فيها جملة النّتائج المتوصل إليها.

وبذلك فموضوع بحثنا جديد وإن كانت هناك الكثير من الدّراسات عنها في مجالات أو مناطق مختلفة من الوطن أو العالم ككل، ومن هذه الدّراسات التي اعتمدنا عليها:

- الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر، نورة عامر.

- الأبعاد الجماليّة للجداريات النحتية في المعابد المندائيّة في بغداد، سؤدد عبد الغني شياع.

- اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية؛ دراسة ميدانية لعيّنة من الطلبة الجامعيين، جبار كنزة.

كما اعتمدنا في دراستنا على **المقاربة الأنثروبولوجية** التي ساعدتنا كثيرا في دراستنا من خلال استجلاء كوامن الجداريات في التّعبير عن هوية صاحبها وثقافته ومستواه المعرفي والإدراكي لحقائق الأمور التي عاشها أو عانى منها كثيرا، وخلقت لدى بعضهم أزمات ومشاكل نفسية أو اجتماعيّة

على المدى القريب أو البعيد، وقد حاولنا بذلك وصف وإبراز مضامين الجداريات المدروسة، كما نود الإشارة هنا إلى إخضاع الموضوع للدّراسات النقدية الأدبيّة نظرا لما تحتويه مادّة لغتها من جماليات فنية، وإن اختلفت مستوياتها وتباينت، مع العلم أنّ طبيعة مثل هذه الدّراسات تعدّ من باب علوم الاتصال التي اهتمت بدراسة الجداريات كثيرا، ولكون الظّاهرة أصبحت عالمية ومجتمعية عامة، فقد جعلناها محور دراستنا وسببا لخوض غمارها، بالإضافة إلى ما تزخر به مادتها، ولبيان ما تشتمل عليه كونها وسيلة للتّعبير بما تفرضه معطيات فئات المجتمع الفقيرة والمهمشة التي تعاني في واقعها.

وهنا لا يخفى علينا سبب اختيارنا لهذا الموضوع أيضا، كون الجداريات أصبحت وسيلة وبديلا سياسيا أحيانا يحرّك الرّأي العام بين فئات الشّباب وإن في الخفاء للتّعبير عن آرائهم ومواقفهم.

وأثناء قيامنا بالبحث واجهتنا في البداية صعوبة ضبط المادّة وتنسيقها، كون مثل هذه الموضوعات الحداثيّة ذات طابع غير أدبي بما اشتملته مختلف الكتب والمراجع المتوفرة على مستوى المكتبات أو الأنترنيت، وعلى الرغم من ذلك تسلحنا بالإرادة، مع تشجيعات الأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها كضبط دراسة الموضوع من جانب أدبي، خاصة وأنّها ضليعة ومختصة في مثل هذه الدّراسات الهامشيّة، وقد استفدنا منها كثيرا حتى خرج البحث على ماهو عليه، ولو أسعفنا الوقت لكان البحث أكثر تعمقا ورؤية.

وفي الأخير نشكر كل من قدّم لنا يد العون من قريب أو بعيد، دون أن ننسى الأستاذة المشرفة.

الفصل الأول: مفاهيم في الكتابة الجداريّة

تمهيد

أولا: تعريف الكتابة الجداريّة

1. لغة

2. اصطلاحا

ثانيا: خصائص الكتابة الجداريّة وتطورها

ثالثا: تاريخ نشأة الكتابة الجداريّة

1. عند الغرب

2. عند العرب

3. عند الجزائريين

4. الكتابة الجدارية في فترة بعد الاستقلال وخلال العشرية السوداء

رابعا: الكتابة الجدارية والهامشيات

منذ تاريخ البشرية شهد العالم سلسلة من الأحداث والتّغيرات، التي سُجّلت بالخطّ العريض في تاريخ الإنسانيّة، ونحن هنا بصدد التّركيز على أهم الظّواهر التي لازالت موجودة، بل إنّها مرافقة للإنسان إلى يومنا هذا، وهي ظاهرة الكتابة على الجدران.

أولا: تعريف الكتابة الجداريّة:

ليس من اليسير أن نجد تعريفًا محدّدًا أو معيّنًا للكتابة الجداريّة أو الكتابة الحائطيّة، وذلك لتحويل المرافق العامة إلى مساحات تشكيليّة، وهنا سنحاول إعطاء مفهوم حول مصطلح "الكتابات الجداريّة".

1. لغة:

تسمى بالكتابات الجداريّة أو الكتابات الحائطيّة، وهي نحت وتسوية وصياغة على شكل ما في الإغريقيّة نجد كلمة Graphein التي تعني: يكتب، يرسم، يلون، فهي تعتبر تصوير للحروف والرّسومات على الجدران، بحيث أنّ هذه الكلمة graffiti غريبة في مفهومها لأنّها ذات أصل لاتيني يعود مفردها إلى كلمة Grephiun وتعني يخربش يخبّش ويكشط، في حين نجدها في اللغة الإيطاليّة مشتقة من كلمة Sraffito، تطور اشتقاقها لـ Graffito مفردة كلمة Graffiti ومعناه كتب، خدشَ أو خَمَش أو حَكَّ أو حكَّ سطحًا.

وتدل كلمة graffitis بالفرنسية أو الإنجليزية على المفرد أو الجمع، فأحيانا إضافة s يدل على الجمع، وهي كتابة أو رسم يدَوي يكون في مكان ما مخصّص للعرض[1].

[1]- نورة عامر، الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2020، ص82.

وقد أشار "ابن منظور" في كتابه "لسان العرب" إلى تعريف الجدار في قوله: «**والجدار هو الحائط، والجمع جُدُرٌ، وجدرانٌ جمع الجمع مثل بطن وبطنان**»[1]، ويقول أيضا: «**الجِدارُ والجدارُ هو الحائط، وجَدَرَهُ يَجْدُرُهُ جدْرًا أي حوّطَهُ، واجْتَدَرَهُ أي بناه**»[2].

ونجد المفكر العربي "خليل أحمد خليل" من خلال كتابه الموسوم بـ "مبنى الأسطورة" أنّه ترجم كلمة "غرافيتي" إلى اللغة العربيّة، وذلك لتصبح مرادفة لمصطلح الكتابة الجداريّة، وتصبح أكثر تداولا في الوسط العربي من هذا التّاريخ، ونجده أيضا قام بعملية تقسيم هذا المصطلح إلى ثلاثة أقسام هي[3]:

أ. النّقوش الجداريّة: التي تتمثل في فنون الزخرفة والعمارة وما يشبهها.

ب. الرّسوم الجداريّة: نجدها قد قسمها إلى ثلاثة أقسام:

*الرّسوم الجداريّة التّاريخيّة مثل: الرّسوم الموجودة في الكهوف والمغارات.

*اللّوحات الجداريّة مثل: النصب التّذكاري.

*الرّسوم الجداريّة الحديثة.

ج. الكتابات الجداريّة:

وهي التي تتمثل في شعارات، رسائل سياسية، اجتماعيّة وذلك تكون بصورة عادية أو فنية[4].

وقد حظيت الكتابة الجداريّة باهتمام المتخصصين الذين خصّصوا لها فضاءات واسعة لدراستها وأصبحت أكثر تداولا في المجتمع العربي، لأنّها عادة ما تحمل رسالة تشمل جميع المجالات الاجتماعيّة.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج: 02، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص54.

[2]- المصدر نفسه، ص55.

[3]-Nicolas gons , graffiti world street art frofive contrinent, new york horsy; alranspulished, 2004, p60.

[4]- خليل أحمد خليل، مبنى الأسطورة، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1979، ص226.

2. اصطلاحًا:

الكتابة الجداريّة هي مصطلح قديم عرفها الإنسان، والتي كانت في بادئ الأمر عبارة عن رموز ونقوش نُحتت على الجدران والمغارات والكهوف تعبيرًا عما يجول في خاطره، وتجسيدا للحياة البدائيّة نظرًا لِما خلص إليه الباحثون وعلماء الآثار، حيث أصبحت الكتابة الجداريّة ظاهرة عالميّة.

وتعدّ الكتابة الجداريّة نوعًا من الفنون التي هي الواقع الأسري والاجتماعي وكذلك المدرسي، حيث يبيّن الفنان "دوغلاس كوبرا" أنّ ظاهرة الغرافيتي هي فنّ العمارة، وذلك في قوله: «**هدف الجداريّة أصلا هو تحويل المرافق العامة إلى مساحات تشكيليّة**»[1]، وهذا يعني أنّ الكتابة الجداريّة مخصّصة للتّعبير عن النّفس وتجسيد أفكار معيّنة بلغة الألوان خاصة.

ومن منظور آخر أنّ المجتمعات الإنسانيّة رسمت على الجدران ثقافة كانت سائدة حينها، في حين أنّ هذه الكتابات الجداريّة كما تراها الباحثة "دونيز بيلودو": «**لديها لغتها الخاصة، وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات تحمل المعاني التي يقصد أصحابها إيصالها، ولا شيء وُجد من العدم، وعليه فإنّ فهم الكتابات الجداريّة يستلزم فهم وفكّ لغز تلك الرّموز والشّفرات التي تؤكد مدى ارتباطها بالجماعة التي ينتمون إليها –أي الكُتّاب– بعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم**»[2]، وهذا يعني أنّ الكتابة الجداريّة تحمل العديد من المضامين التي كتبها أصحابها بهدف إيصال رسائل معيّنة للأشخاص لفهم هذه المضامين وفكّ رموزها، وفي الكثير من الأحيان نجد الشّباب يمارسون هذه الكتابات الجداريّة.

وفي رأي آخر نجد الباحث "عبد الغني شياع" قد ربطها بالمنحوتات التي أصبحت تدخل في علم الآثار اليوم على «**أنّها عمل فني جداري نحتي أو من الآجر المنقوش أو منفذ بتقنية صب القوالب الجبسية أو معلق على الجدران وأسقف المعابد بأحجام مختلفة، إذ يحمل فكرة عن**

[1] – مرح البقاعي، عصابات الغرافيتي والجداريات، مجلة الحوار المتمدن، 2004/11/20
https://m.alhewar.org/s.asp?aid=26837&r=0

[2] -D.Bilodeau ; les murs de la vélle, les graffitis de montréal liber, 1995, p30.

الدّلالات الفكرية والطّقوس الدّينيّة»[1]، لأنّ المجتمعات البدائيّة خاصة اليونان والرومان كثيرا ما عُرفوا بالتّماثيل التي نصبوها على جدران المعابد والكنائس وسائر العمران، وارتبطت بشخصيات أسطورية أو آلهة.

لا يمكن الاتّفاق على تعريف واحد للكتابات الجداريّة؛ لأنّ بعض النقاد والباحثين عرّفها بطريقته الخاصة، وأعطاها توضيحًا، لهذا فمصطلح الكتابات الجداريّة نمط خاص من التيبوغرافيا، فهو محاولة تدوين العبارات، الكلمات، الرّموز والرسومات وحفرها داخل ذلك السّطح، حيث أنّه أصبح يتّخذ كلّ الأشكال لإيصال رسالة الكتّاب الجداريين لأنّه مفهوم واسع الانتشار وليس محصورا فقط في الكتابة.

ثانيا: خصائص الكتابات الجداريّة ومميزاتها:

تتميّز الكتابة الجداريّة بمجموعة من الخصائص نذكر أهمها:

1. تعدّد فضاءاتها: بمعنى أنّ الكتابات الغرافيتية توسعت في تواجدها الذي طرح العديد من مجالات وفضاءات المجتمع، وذلك بقليل من البصيرة السوسيولوجية مثل: الشّوارع، المؤسّسات الإداريّة والتّعليمية والمؤسّسات العسكريّة[2].

2. تنوع حاملاتها ودعاماتها: وذلك بغزوها لكل دعامة واقتحامها لكل مساحة لاحتوائها وحدة غرافيتية، ومن أمثلتها نجد: الأعمدة الكهربائيّة، الجدران، الحافلات والقطارات، وغيرها من هذه الحاملات.

3.تباين اختلاف أنساقها التّعبيريّة: ويتجلى ذلك من خلال مستويين أساسين هما:

[1]-سؤدد عبد الغني شياع، الأبعاد الجماليّة للجداريات النحتية في المعابد المندائيّة في بغداد، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، 2021، ص2965.

[2]- مصباح بوطبة، مضامين الكتابات الخربشية لتلاميذ المرحلة الثانوية؛ دراسة ميدانية لبعض ثانويات مقاطع الغيرة، مذكرة ماجستير، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2017، ص53.

أ. **المستوى المكتوب:** من خلال الكلمات، الأسماء، العبارات، الجمل، الرموز وغيرهم.

ب. **المستوى غير المكتوب:** وهو المستوى الذي يتمثل في الأشكال الهندسيّة، الدّوائر، الرسومات البيانية والمنحنيات أيضا.

ونلحظ من خلال هذين المستويين وجود مستوى آخر حيث يستخدم فيه الأسلوب الأول والثاني معا، ويسمى **بالمستوى المختلط**.

4. **إنّ الكتابة الجداريّة هي الذّاكرة التسجيلية للشّعوب وتراثها وتاريخها وعقائدها، وتحمل في طياتها مضامين ومفاهيم متعدّدة ونواحي جماليّة.**

5. **تكرار أو تغيير بعض أجزاء الإمضاءات:** التي من خلالها يتم انتقاء نوع الخط الذي يودّون الكتابة به تبعا لنوعية السّطح الذي يريدون تدوين هذه الإمضاءات سواء كان من الإسمنت أو الزّجاج[1].

6. **مجهولية فاعليها:** وهذه الخاصية غالبا ما تعرف معرفة الكتابة حيث يتميز المدون فيها بمجهولية الفاعلية حتى وإن علمت الفئة الاجتماعيّة.

7. **سِمتها الهامشية:** في بعض الأحيان توصف وتُصنف في خانة السلوكيات والظّواهر الهامشيّة، لأنّها تعدّ بمثابة خطاب وممارسة لا تنطوي تحت شرعية الخطاب الرّسمي.

8. **سيادة المضامين الناقصة لقيم الثقافة الرسمية المهيمنة.**

9. **طغيان الطّابع المدني على الطّابع المقدّس:** وذلك أنّ السوسيولوجية لدى المفوضين مهما كان نوعها ووصفها للمجتمع الرّسمي إلا أنّها مقارنة تخريبية ويجب اجتنابها.

[1]- المرجع السابق، ص53.

10. خصوصيات المضامين الغرافيتية نابع من خصوصية الفضاءات التي تتواجد فيها؛ أي أنّها هي التي تفسّر أشكالها وتنوع أحجامها، لأنّ الكتابة الغرافيتية في الأماكن العمومية مثل الشّوارع ووسائل النّقل، ولكن ليست ذاتها الموجودة في الأماكن الخاصّة مثل: السّجون، المراحيض وغيرها من الأماكن.

11. **العشوائيّة والطّابع العفوي**: وكثيرا ما توحي بمواقف هزلية وفي مرّات أخرى مواقف جدية مؤلمة لها دلالات مضمرة أحيانا، حيث تحمل رسائل مشفرة ولها دلالات مباشرة أحيانا أخرى.

12. تعتبر مجهولة المصدر، وتُكتب على الجدران الدّاخلية أو الخارجية للمباني في حين غفلة من الناس باستعمال قلم أو أصباغ الرش بمختلف تشكيلاتها اللونية[1].

13. تتميز بالتّدوين وكثرة الأخطاء الإملائية أو من إضافة خربشات أخرى.

ثالثا: تاريخ نشأة وتطور الكتابات الجداريّة:

إنّ التّعبير بالكتابة الجداريّة عُرف في عصور ما قبل التّاريخ في الكثير من المواقع في العالم العربي كالرّسوم، النقوش والأحجار التي كُتبت عليها القوانين والتشريعات وما إلى ذلك، وما الذي حصل في الكتابة الجداريّة أنّها تطورت من الكتابة التصويرية إلى الكتابة باستخدام الأبجديّة، ويظلّ الحديث إذن عن ثقافة عامة وأدوات طبعت مختلف الحضارات وألحت على اختراع أدوات التّعبير لديها، إلا أنّ الحرف العربي في العصور الجاهليّة وما بعدها أكسب الكتابة خصائصها الجماليّة؛ إذ أنّ الخطوط العربيّة تميّزت بعناصرها الجماليّة نوّعها الخطّاط العرب في بناء لوحات جماليّة رائعة، ومازالت الأجيال ترى فيها وتحللها وتدرسها، وعليه نستطيع استعارة ما سبق وقدّمه "خليل أحمد خليل" في تفسيره للتحول من الكتابة الجداريّة إلى الأبجديّة[2].

---

[1]- أم محمد، قناة أطايب أفكاري، الكتابة الجدارية أو الحائطية أو الغرافيتي graffiti، مفهومه، مميزاته، تاريخه (في الجزائر وفي العالم)، 2023، www.youtube.com/@atayib.afkary .

[2]- خليل أحمد خليل، الشّعارات والصّحافة الجدارية في كتابه مبنى الأسطورة، دار الحداثة، بيروت، 1979، ص227.

وتلك الرّسومات واللوحات مازالت تحمل الإرث التّاريخي وتؤهلها، وهذا يتجلى من خلال تأكيد المكتشفات الأثريّة، ومن أمثلة ذلك: النجوم الثلاث المرسومة على جدران الكهوف (لاسكو) في فرنسا، والتي تعود إلى ما يقارب 16500 عام، وكذلك بالنّسبة لكهوف الطاسيلي أيضا في الجزائر التي اكتشفها الرحالة "بربنان"، حينما كان يجتاز الحدود الجزائريّة الليبية عام 1938م، وقد وجدوا في هذه الأماكن رسومات عجيبة مضت لمخلوقات بشرية رجالا ونساء يرتادون ثيابًا سواء قديمة أو حديثة[1]، كالتي ترتديها في زمننا الحالي شكّلت ما يُعرف بلغز التاسيلي.

وتلك الرسومات والنقوش المحفورة على جدران الكهوف والمغارات أصلها يرجع إلى طبيعة البيئة وسهولة استخدام الوسائل البدائيّة الموجودة في تلك الحقبة الزمنية، كما أنّ مصطلح الكتابات الجداريّة قد تم ذكره في التوراة بعبارة "مكتوب على الحائط"[2] والتي تعني انقضى الأمر وانتهى.

وهناك فرضيات أيضا حول هذا المصطلح الجداري إلا أنّ التّاريخ الاجتماعي لم يكتب في تفاصيله الكاملة، حيث إنّ تأصيل هذه الظّاهرة وتتبع تاريخها يدخل في باب التكهن في غياب الكتابات والأبحاث التي حاولت البحث عن جذورها في التّاريخ العربي، ولكن في تأكيد أنّ ظهورها في ظروفها العامة لا ينفصل عن نشوئها وازدهارها في مجتمعات أخرى.

والاهتمام بالكتابات الجداريّة والرسومات أصبح مرتبطًا بتاريخ الإنسان ما قبل التّاريخ، ولكن رغم خشونة الطّبيعة التي يعيش فيها إلا أنّه توصل معها وجسّد اتّصاله بالعالم الذي يحيط به من خلال النقوش التي نقشها على جدران الكهوف التي كان يعيش فيها منذ القدم.

[1]- مرح البقاعي، عصابات الغرافيتي والجدارية، مجلة الحوار المتمدن، 2004.

[2]- سامر الصالح، الكتابات على الجدران من البيان السياسي الساذج إلى رسائل الحب والغرام، دمشق، دنيا الوطن، 8 جانفي 2005. https://www.alwatan voice.com/articles.php?go=articles&=15610

1. تطور الكتابة الجداريّة عند الغرب:

نشأت الكتابات الجداريّة في أحياء مدينة نيويورك الأمريكية من خلال تشكل طابع كتابي بسيط إلى طابع فنّي، وحركات شبابية في منتصف السبعينيات، حيث أنّها بدأت باستخدام الجداريات للتّعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم في شكل صور ورسومات وكتابات، وذلك بأدوات بسيطة وأساليب للوصول إلى اتّجاه جديد في الكتابة على الجدار.

وظاهرة الكتابة على الجدران ارتبطت بمدينة نيويورك في أنفاق القطارات، حيث نجدها ممارسة من طرف العديد من الفنانين الغرب وعلى رأسهم الفنان الإنجليزي "بانكسي روبرت" الذي رسم على الجدار العازل الذي بناه الصهاينة للفصل بينهم وبين فلسطين، ومن أهم أعماله نجد رجلا يقوم بكشف الجدار كرداء أظهر زرقة البحر والسّماء، بمثابة رفض لهذا الجدار، وفي عام 2002 نفذ كتابة جداريّة مصورا فيها ملكة بريطانيا "إليزابيث الثانية" على هيئة "شامبانزي" (جنس من القردة)، وفي عام 2005 تسلّل "بانكسي" إلى المتحف البريطاني واضعا قطعة من الحجارة مرسوم عليها رجل يدفع عربة تسوّق، وذلك بهدف إظهار الحجر وكأنه مأخوذ من إحدى الكهوف للرسومات القديمة للإنسان.

وفي الآونة الأخيرة ارتبط graffiti بثقافة "الهيب هوب" وصعود فن الشّارع في السبعينيات، حيث إنّ هذه الثّقافة كان لها دور مهم في تطوير ثقافة الكتابة على الجدران، وقدّمت موسيقى "الهيب هوب" والرقص منصّة للشّباب من المجتمعات المهمشة للتّعبير عن أنفسهم، وأصبحت هذه الكتابة امتدادا لهذه الحركة[1].

إضافة إلى أنّ الكتابات الغرافيتية أثّرت أيضا على صناعة الموسيقى؛ حث إنّ موسيقى "الهيب هوب" يتمتعون على وجه الخصوص بعلاقة وثيقة مع الكتابة على الجدران، حيث بدأ العديد من مغنيّي الراب في حياتهم المهنية كفنانين على الجدران.

[1]- ثقافة الكتابة على الجدران؛ كسر الحدود، تأثير ثقافة الكتابة على الجدران، مجلة فاستر كابيتال، 2024.

وكان graffiti مصدر إلهام لأغلفة الألبوم، حيث يستخدم الفنّانون عناصر الكتابة على الجدران لإنشاء مظهر حضري، وممارسة ما يُعرف بالعصابات الأمريكية لتعاليم نفوذها المعروفة بـ "عصابات الغرافيتي"، وذلك نتيجة بروز أشكال فنية جديدة تسمى بالتايغينغ[1].

وبالتّالي فإنّ مدينة نيويورك الأمريكية أصبحت عاصمة هامة للكتابات الغرافيتية في العالم الغربي، وذلك نتيجة لتأثر أسلوب فن الكتابة الجداريّة بثقافة الهيب هوب Hip Hop، وعبّرت أيضا عن الوضع المعاش للمجتمع في أمريكا من خلال الرسومات والصور الجداريّة والرّموز التي تأخذ مركزها في تاريخ هذه الظّاهرة الفنّية.

إضافة إلى أنّ الكتابات الجداريّة نشأت وانتشرت في مدن وشوارع بريطانيا بالاعتماد على الطّابع الكتابي في لوحات الإعلان ولافتات النوادي، للتّعبير عن المواضيع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، فهذه الكتابات البريطانية طرحت إشكاليات الدّين والعلمانيّة بصور متعدّدة ومختلفة سواء عن طريق الرسومات أو اللوحات الإعلانيّة، حيث إنّ بعض اللهجات الموجودة في مدن بريطانيا نشأت فيها مثل مدينة ملبورن التي لها نوع من هذه الكتابات الجداريّة والتّصويريّة[2].

2. تطور الكتابة الجدارية عند العرب

الكتابة على الجدران من العادات الدّخيلة في الدول العربيّة، نظرا لتميّز بيئتهم اجتماعيا وجغرافيا ودينيا، فهذه الممارسة في نظر المتخصصين من العادات المخالفة للذّوق العام، ويقول في ذلك أستاذ علم النفس "علي عبد الله العقان": «**إنّ سلوك الإنسان يصنف على أنّه نابع من نفس الإنسان فإما سلوك عرضي هادف وإما سلوك منتزع ليس للإنسان دور فيه، وأنّ غالبية سلوك الأفراد سلوك هادف، فالظّاهرة تحتاج إلى قضية التّحليل ودراسة البيئة الجغرافيّة والبيئة**

[1]- جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية؛ دراسة ميدانية لعيّنة من الطلبة الجامعيين، جامعة الحاج لخضر، باتنة، رسالة ماجستير في علم النفس، 2014، ص74.

[2]- نورة عامر، التصورات الاجتماعيّة للعنف الرّمزي من خلال الكتابات الجداريّة، ص130.

الاجتماعيّة والنفسية، فالسّلوك أحيانا يكون سلوكا عدائيا ضدّ الآخرين وأحيانا يكون عبارة عن التّعبير عن إحباطات يعيشها هذا الشّاب الذي قام بالكتابة على الجدران سواء كانت كتاباته مقبولة أو مرفوضة، وأحيانا تكون هذه الكتابة عبارة عن عادة نشأت معه منذ الصّغر والتي لم توجه توجيها سليما فأصبحت مكوّنا من مكونات شخصيته»[1].

وقد راجت هذه الظّاهرة كثيرا في مختلف الدول العربية كما العالم، وعبرت عن رؤى ونفسيات أصحابها، وكانت فلسطين أكثرها انتشارا نظرا للطبيعة الاستعماريّة اليهودية والسياسية التي تضطهدهم بها.

إذ تحمل الكتابات الجداريّة في فلسطين اتّجاهات ورؤى ومواقف مختلف الفصائل الفلسطينية حيث تم اللجوء إليها في غيّاب وسائل الإعلام التي تم التّضييق عليها من قِبل الإسرائيليين، وكانت من أبرز مظاهر الانتفاضة الفلسطينية الأولى فشملت أغلب القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية، كما ضمّت أفكارا وملاحظات عامة تعكس هموم الشّعب الاجتماعيّة والسّياسيّة.

وتقول الفنانة البريطانية "أليانا كازاليت" عن الكتابات الجداريّة الفلسطينية أنّها ليست صور حرب بقدر ماهي صدى الاحتلال الذي يضفي المزيد من العزلة والانزواء، وترى أنّ هذا النّوع من الفنّ يخرج من رحم الخوف[2].

ولقد كانت اللغة هي سيّدة الموقف في الكتابات الجداريّة؛ حيث استطاع محرّر الجدار الفلسطيني أن يبرز قدرته على بناء ثقافته السّياسية والاجتماعيّة من خلال استعمال اللغة.

والملاحظ على الكتابات الجداريّة الفلسطينية أنّها لا تحمل خصائص كتابات المراهقين كغيرها، وإنّما حصيلة الوعي الذي استخدم الموروث التّاريخي والتّراث الشّعبي الذي يتبيّن من خلال الشّعارات

[1]- علي الحضان، ظاهرة الكتابة على الجدران مخالفة للشّرع والذّوق العام، 23 نوفمبر 2006، ع: 1403
www.alqabas.com.kw/article.aspx?id381493

[2]- جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية؛ دراسة ميدانية لعيّنة من الطلبة الجامعيين، ص78.

الجداريّة الهادفة والمكتوبة بلغة بليغة ومقصودة، وأشهرها «**أيّها العملاء الزموا مساكنكم لا يحطمنكم جند حماس**» وهي إشارة لسورة النمل، وعبارة «**إذا كان حرس الحدود ريحا فإنّ فتح هي الإعصار**»، وأكثر العبارات المتداولة «**الجهاد، الرباط، الأرض المقدّسة**»[1].

ولا يختلف الأمر كثيرا عن الجداريات التي نجدها في تونس والتي ارتبطت بالأحداث الكبرى فيها التي غيّرت تاريخها وسياستها؛ إذ تروي الكتابات الجداريّة التّونسية مأساة الشّعب والتي تتقدمها قضايا البطالة، وعبرت عن حياتها السياسية، كما أنّها أشعلت فتيل الثّورات العربيّة الأخرى، وانطلقت شرارتها حين أقدم الشاب "محمد البوعزيزي" على إحراق نفسه في 17 ديسمبر 2010 بعد مصادرة بضاعته وصفعه من قِبل الشّرطة، وليا زار "زين العابدين بن علي" في 14 يناير 2011 السعودية صار يُنعت من خلال الكتابة الجدارية «**شين العابدين وزين الهاربين**»[2].

وأثناء حكم الرئيس المخلوع "زين العابدين" كانت الكتابات ممنوعة عن الشّباب ولكنها كانت ملاذهم لمعارضة إدارة البلاد، ولكن بعد ثورة 14 يناير (جانفي) واصل الشّباب التّعبير عن آرائهم في مختلف المسائل السّياسيّة لشعورهم أن ما انتظروه لم يتحقق بعد*، فالخربشات الحائطيّة أصبحت واحدة من أهم وسائل التّعبير بعد أن احتكرت كل مساحات التّعبير.

كانت عبارة «**الشّعب يريد إسقاط النّظام**» السّمة المشتركة بين دول المغرب العربي، في حين كانت جداريات ليبيا أكثر حرفية وألوان مستوحاة من العلم الليبي، وتعكس السّاحات مشاغل وهموم الليبيين وكتاباتهم، وترجمت طوقهم لحياة أفضل وتحمل فخرهم بالإطاحة بـ "معمر القذافي" كتب

[1]- الكتابة الجدارية في التّجربة والممارسة الإنسانية، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الأنترنيت، يُنظر لمزيد من التفاصيل https://www.pahelestine-info.com/arabic/books/shearat/shear4htm

[2]- جبار كنزة، اتّجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية، مرجع سابق، ص28.

*للاطّلاع عن بعض الجداريات في تونس يُنظر المواقع الآتية:

https://www.youtube.com/watch?v=Q0SCXZmYTSM

https://www.youtube.com/watch?v=vEqGzQJ-cjw

عليها[1] «**ارفع رأسك فوق، أنت ليبي حرّ**»، «**لقد هرب الطّاغية**»، و«**ليبيا حرّة**» وكذلك «**الحرّية مطلبنا**»، و«**لا لمظاهر السّلخ**»، و«**لا للعنف نعم للمصالحة**»، «**الحرية تُكتب بالدّماء**».

رابعا: تطور الكتابات الجداريّة عند الجزائريين

الكتابات الجداريّة في الجزائر لم تأت من العدم، بل كان لها ارتباط وثيق بجملة الأحداث والظّروف المرتبطة بالاستعمار حيث أخذت الكتابات الجداريّة طابع رياضي وامتدّت إلى التّنافس بين الأنصار في الشّوارع والأحياء حيث يعمل كل طرف على تخليد النّتائج التي حقّقها فريقه «**حيث كانت الفرق العربيّة آنذاك انتصاراتها ساحقة ومدوية وضربات قاضية أمام الفرق والأندية الجزائريّة فريق مولودية الجزائر (MC A) والذي تأسّس على يد عدد من الرياضيين الجزائريين ليلة المولد النبوي الشّريف من سنة 1921، كمسمى رياضي يعكس التّميز والانتماء الديني والعرقي للفريق ولا تزال سنة تأسيس الفريق محمولة على لوغو الفريق في القمصان الرياضية للاعبي ومشجعي الفريق إلى تاريخ اليوم**»[2].

ومن جهة أخرى ارتبطت الكتابات الجداريّة بالأحداث السّياسية وكانت مزامنة لها ووسيلة من وسائل التّعبئة حيث كانت «**أول من أخبر الجزائريين باندلاع الثّورة بعد تزوير الإدارة الفرنسية نتائج الانتخابات العامة التي جرت عام 1947 وفازت الأحزاب الوطنية عن الأحزاب الفرنسية**»[3]، كما برزت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السّياسي، وحتمية تغيير منهج التّعامل مع الفرنسيين «**وأنّ ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة**»[4].

---

[1]- ماعر الوافي، الجرافيتي يتحسس حديث الجدران من تونس إلى طرابلس، 20 جانفي 2012، ص28.
http//:www.Fonon.net/2134 11:50

[2]- كريم محمد، الكتابات الجدارية، دراسة سوسيولوجية بمستغانم، سنة 2012، 2013، ص102.

[3]- مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، عدد: 1، مج: 8، مارس 2020، ص80.

[4]- المرجع نفسه، ص80.

وتزامنا مع اندلاع الثّورة في الفاتح نوفمبر 1954 انتشرت الكتابات الجداريّة في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا وإعلاميا عن انطلاقها نغزت الكتابات الجداريّة الشّوارع الجزائريّة، وظهرت عبارات عديدة منها اسم جبهة التّحرير الوطني، وكذلك عبارة الجزائر مسلمة ردا على عبارة الجزائر فرنسية، وبتضييق فرنسا الخناق على الصحف والمجلات آنذاك تحولت الجدران إلى منابر إعلامية، وهذا العمل أثار قلق الفرنسيين وراحوا يخصّصون فرقا خاصة لمتابعة هؤلاء، وخصّصت مكافآت عالية لمن يلقي عليهم القبض، وخُصّصت فرق لمحوها يكتبونه، وتم سجن عدد كبير منهم رغم صغر سنهم لمجرد الاشتباه بهم، واكتشاف لون الطّلاء على أيديهم بتهمة الانتماء إلى "كتاب الجدران"، حيث كان هذا الفعل جنحة يعاقب عليها القانون الفرنسي بالسّجن، لكن هذه المكافحة ليست للحفاظ على رونق الجدران وإنّما بتهمة تحريض الثوار ونشر الوعي في أوساط الشّعب

ولم تقتصر الكتابات الجداريّة على الثّور الذين اتّخذوا منها وسيلة تحدي بل حتى الفرنسيين أصبحوا بدورهم يكتبون مواقفهم المعارضة لسياسة ديغول اتّجاه الجزائر «**فانتشرت الكتابات الجدارية المعارضة للمفاوضات واستفتاء تقرير المصير، ثم برزت كتابات بعبارات "نعم" و"لا" للتصويت على استفتاء تقرير المصير**»[1]، لقد كانت الكتابات الجدارية في الجزائر تلك الحقبة التاريخية وسيلة اتّصالية ثوريّة سياسية موجّهة لخدمة الشّعب وإعلام الرّأي العام الوطني هدفها الأساسي حشد التّأييد السّياسي للقضية الوطنية.

خامسا: الكتابات الجداريّة في فترة بعد الاستقلال وخلال العشرية السّوداء

اختفت الكتابات الجداريّة في المدن الجزائريّة بانتهاء الثّورة لأنها كانت معول مساعد لها ولم يعد لها دور بعد الاستقلال، وهذا دليل على أنّ الكتابات الجداريّة ليست ظاهرة متجذرة في ثقافة الجزائري، بل هي وليدة الظّروف وتجدر الإشارة إلى أن فترة حكم هواري بومدين اختفت هذه الكتابات نظرا لسياسته في معركة البناء والتّشييد «**وتأسيسه لنظام يسعى لتكريس العدالة**

[1]- كريم محمد، الكتابات الجدارية، دراسة سوسيولوجية بمستغانم، 2013/2012، ص103.

الاجتماعية حيث حارب جميع أشكال الطبقية بتوزيعه العادل لأراضي الجزائر ومداخيلها ومجانية الصحة والتّعليم والتّشغيل والسّكن»[1]، وهذه الحقوق نصّ عليها الدستور وحق من حقوق الإنسان، وبمشاركة الجزائر في جل القضايا العربيّة وأبرزها القضية الفلسطينية التي حظيت بمساندة الجزائر وإبرازها في المحافل الدولية، وعلى الرغم من القفزة النوعية التي شهدتها الجزائر خلال فترة حكمه، إلا أن سياسته المنتهجة حدّت من الحرّية السّياسية والإعلامية.

إلا أنّ هذه المآخذ لم تُحرَّر على الجدران طيلة حكمه؛ حيث نال تأييد ودعم واحترام الشّعب واقتصرت الكتابات الموجودة على تشجيع الفرق الرياضية سنوات السبعينيات، وأشهرها مولودية الجزائر بالعاصمة، ومولودية نفط وهران (MPO) بعاصمة الغرب وهران والوفاق السطايفي[2].

وعاودت الكتابات الجدارية الظّهور من جديد في فترة الثمانينيات نتيجة الصّراع بين التيارات والأحزاب السياسية في أكتوبر الأسود في فترة حكم العقيد الشاذلي بن جديد فتحولت الجدران إلى مساحات جسّدت قصور النظام السياسي في ظل سياسة الحزب الواحد، ونتج عنها تغيير الدستور وإعلان التعددية السياسية، وإطلاق حرية الصّحافة، وبرزت الكتابات الجدارية بعبارات تطالب برحيل رجال السلطة الحاكمة آنذاك تحمل دلالات تؤكد في مجملها عن التوجه الإسلامي وعدم كفاءة النّظام كقيادة البلاد، وبعد الانتخابات في 12 جويلية 1990 والتي رافقتها العديد من الكتابات الجدارية الهادفة إلى التّأييد الجماهيري للمترشحين، وفي مقدمتهم مرشحي الجبهة الإسلامية للإنقاذ ومرشحي جبهة التّحرير الوطني، «**حيث اكتسحت الكتابات الجدارية الأبنية السكنية وأعمدة النور في كل زاوية من الأحياء كانت تحمل رقم الجبهة في اللوائح الانتخابيّة "7"** (Fis) **وعبارات أخرى قليلة مناصرة لمرشحي جبهة التحرير (f l n)**»[3].

---

[1]- المرجع السابق، ص104.

[2]- cellier Hervé ; Rouag Djemidi Abela ; Algérie-france: villes et marginalite ; op.cit

[3]- كريم محمد، الكتابات الجدارية؛ دراسة سوسيولوجية بمستغانم، 2013/2012، مرجع سابق، ص104.

وقد كان الفوز السّاحق في هذه الانتخابات للجبهة الإسلامية للإنقاذ، وقد عبّر أتباعها عن فرحتهم بعبارات مثل "قلنا Fis" بلدية إسلامية لا شرقية ولا غربية .. دولة دولة إسلامية" في مداخل ومخارج وجدران البلديات التي حصدت غالبية الأصوات لصالح الرئيس ضد كل من يتعامل مع الأجهزة النظاميين.

وصَاحب هذا ظهور موجة الإرهاب وزادت حدته بعد الانتخابات الرئاسية سنة 1995 حيث انتهج سياسة استئصالية للقضاء على الإرهاب فكانت الكتابات الجدارية تصفه بالطاغوت.

تنوعت وسائل الكتابة الجدارية من طلاء وزفت وكتابة باستعمال الدّم حيث قُتل شاب برصاص جندي، وكانت إصابته بليغة فتعذر نقله لشدّة المواجهات، وقيل لفظ أنفاسه فكُتب في المكان الذي سقط فيه بدمه على الجدران عبارة (VIVE LALIBERTE) و(تحيا الجزائر)[1].

شغلت القضايا العربيّة المصيرية مدوني الجدران في الجزائر كقضية حرب الخليج واحتلال العراق زمن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" والحرب على لبنان وحصار غزّة زمن رئيس حكومة الكيان الصّهيوني "أولمدت وشارون"، وهما أكثر الشخصيات التي أثارت حفيظة وسخط المدون والشّارع الجزائري على حدّ سواء[2].

ومع التّوجه السّياسي الجديد وقلّة فرص العمل صار الشّباب يطمح إلى تغيير أوضاعه المزرية في ظل الظّروف الاقتصادية الخانقة وشباب أحادي القطبية يطالب بالحقوق، ولا يؤدي الواجبات، فنجد المدونين يلوحون بعبارات وُجدت على جدران لبناية في طور الإنجاز ببلدية جسر قسنطينة في ضواحي العاصمة **"اذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يُظلم عندها أحد"**[3].

[1]- عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، مرجع سابق، ص138.

[2]- المرجع نفسه، ص91.

[3]- المرجع نفسه، ص91.

ويبدو أنّ من كتبوها تأثّروا بوصية الرسول لأصحابه بأن اذهبوا إلى الحبشة فإنّ بها ملك لا يُظلم عنده أحد.

أصبحت الدول الأوروبية قبلة الشّباب الجزائري وخاصة بريطانيا حيث تهافت عليها الشّباب الجزائري لسهولة إجراءات الإقامة وتوفر فرص العمل بها، وفي بلدية الثنية شرق العاصمة توجد كتابات بالخط الكبير بالعربيّة والفرنسيّة والإنجليزية تُشيد بلندن منها عبارة "لندن جنة فوق الأرض.." و"في لندن تتلقى أجرك قبل أن يجف عرقك.." وأيضا "لندن بلد الحرية" على غرار الكثير من العبارات المشجعة والدّافعة للحياة في بلد الضّباب بريطانيا[1].

وفي سنة 2010 صارت الجدران الجزائرية مدونات عملاقة لمناصرة الفريق الوطني لكرة القدم، ومسّت شعارات المناصرين الملك العام والخاص وزُيّنت برسومات الرّاية الوطنية جدران الشّوارع والمحلات التّجاريّة، وتعدّ ظاهرة فريدة من نوعها منذ الاستقلال.

وما تجدر الإشارة إليه «**أنّ المشرّع الجزائري يعد الكتابة على الجدران تعدٍ على ملك الغير وجنحة وجب ردع مرتكبيها، وفي ذلك تنص المادة 450 من قانون العقوبات على المعاقبة بغرامة مالية من 100 إلى 500 دج، ويجوز الحبس لمدّة عشرة أيام على الأكثر لكل من قام بكتابات أو وضع رسومات أو علامات على عقار بأيّ وسيلة كانت دون أن يكون ملكا مستأجرا له منتفعا به وبغير إذن من هؤلاء الأشخاص**»[2].

سادسا: الكتابة الجداريّة والهامشيات

تدخل الكتابة الجداريّة ضمن الأدب الهامشي، وذلك لأنّها أقوى الخطابات الثقافية لِما تحمله من رسائل مشفرة حول الحالة النّفسيّة بطريقة عفويّة والتي هي الواقع الأسري، الاجتماعيّ والمدرسي

[1]- نورة عامر، الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر، 2020/3/1، ص91.

[2]- قانون العقوبات الجزائري، قانون 04/82 المؤرخ في 13 فيفري 1982 المادة 450.

أيضا، حيث أنّها ظهرت بظهور الإنسان تجسيدا لدلالات عميقة ورغبة عاطفية وفكريّة تكشف عن عمق الثّقافة الجماهيرية.

وبعض الدّراسات تشير إلى أنّ الكتابات الجداريّة هي صنعة جماليّة جديدة في سبيل توصيل رسالة ما، وعادة ما تأخذ المفتوح من الأماكن مرتعا لها، وإن كانت تمارَس على حين غفلة من العامة حتى لا يعرف صاحبها، فالكتابة الجداريّة في عمومها قديمة قدم الإنسان الذي اهتدى إليها لتلبية حاجته في التّعبير عن أحاسيسه وقضاياه.

وتشكّل الكتابة الجداريّة فنّا هامشيا للتّعبير عن حالات نفسية فرديّة، يقول "عبد الغني خشة": «**إنّ الكتابة الجداريّة تشكّل ملمحا هامشيا مقارنة بالتّعبيرات الأخرى التي تدخل في نطاق المركز، لكن رغم هذا تحاول أن تأخذ مكانة تندرج ضمن الأبحاث الأكاديمية والعلميّة باحتشام**»[1]، لأنّها تطورت مع الزّمن واختلفت في صيغتها ودلالتها، وارتبطت بعامة المجتمع والجماهير الشّعبيّة، واتّخذت طابعا شعبيا انتشر في كثير من الأماكن العامة.

وأوضح "الدكتور خشة" أنّ الكتابة على الجدران كثيرا ما توحي بمواقف هزليّة، وفي مرّات أخرى توحي بمواقف جدية مؤلمة لها دلالات مضمرة أحيانا، إضافة إلى أنّها تتميز بالعشوائيّة والطّابع العفوي، حيث أنّها أصبحت ظاهرة إنسانيّة، وحالة اجتاحت المجتمع يتم عن طريقها توصيل رسالة باستهداف متلقٍ خاص، متجلية على الجدران وكذلك مجهولة المؤلف.

وتمثّل الكتابة الجداريّة أي أدب العامة من الناس على عكس أدب المركز الذي يمثّل أدب السّلطة، وتكون عادة نثريّة لأنّ النّثر أيسر من الشّعر عند العامة، وهذا ما أكده "الدكتور باوية" في اعتبار أنّ هذه الكتابات الجداريّة رسائل موجهة للعامة في أغلب الأحيان، حيث أنّها تعبّر عن

[1]– عبد الغني خشة، الكتابات الجدارية بحاجة إلى التفاتة؛ يجب الانتباه إلى الكتابات الجداريّة وإخضاعها للتّحليل الأنثروبولوجي، مجلة المساء، 2024.

انشغالات الطّبقة المهمشة والمسحوقة في المجتمع، وهي شبيهة بأدب التّوقيعات في العصر العباسي، أو قصائد الومضة في العصر الحديث[1].

ولقد أكّد أيضا "الدكتور صالح باوية" أنّ النّقد لم يتناول الخطابات الأدبيّة الجداريّة، وأرجع ذلك إلى صعوبة وتدوين هذا النّوع من الأدب المنتشر هنا وهناك والمترامي بين أطراف الجدران التي يمكن القضاء عليها أو مسحها أو صبغها.

تعتبر الكتابة الجداريّة صوت الجماعة المهمشة؛ إذ تصوّر معاناتهم حيث نلحظ مجموع الشّعارات المتواجدة على الشّوارع والطّرقات، مثل: الرغبة في الهجرة، الحقرة، أعطونا السّكن، نريد الرّحيل...[2].

ونظرا لأنّها صادرة عن هذه الجماعات المقموعة فلم يُعترف بها من قِبل المؤسّسات الرسمية؛ إذ في معظم المجتمعات كانت وسيلة للتّعبير عن التّمييز العنصري أو للتّعبير من قِبل الرّاسبين في المدارس، أو العاطلين عن العمل، والسّجناء، المتسكعين في الطّرقات، أو من قِبل الذين يعيشون انحلالا أخلاقيا أو مشاكل أسريّة وعاطفيّة[3].

وندعو هنا في مقامنا إلى إعادة الاعتبار لمثل هذه النّتاجات الهامشيّة والتّركيز على دراستها وتحليلها، لأنّها تحمل الكثير من الدّلالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة المرتبطة بشريحة واسعة من أفراد المجتمع وإن كان الذي كتبها شخص واحد وعبّر عن حالته، وبذلك يمكن استنباط الكثير من الجوانب الجماليّة التي تطبع الكتابات الجداريّة، وبما يمكن تَلَمُّس عوالم معيّنة ومهمشة.

[1]- صلاح الدين باوية، الكتابات الجدارية بحاجة إلى التفاتة، كتابات شبيهة بأدب التّوقيعات أو قصائد الومضة، مجلة المساء، 2024.

[2]- غزلان هاشمي، الكتابة الجداريّة في الوطن العربي، 2024، ص13.

[3]- بركات سعيد محمد، الفن الجداري؛ الخامة، الغرض، الموضوعات، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، مصر، ط1، 2008، ص07.

الفصل الثّاني

التّحليل الأنثروبولوجي لعيّنة من الكتابات الجداريّة

إنّ قراءة الجداريات فنّيا يجعلنا نستخلص مجموعة نقاط باعتبارها تكشف الكثير من الجوانب التي تحملها الصّورة من معانٍ خفيّة من شأنها تقديم رسائل أيقونيّة وضمنيّة، وهنا سنقوم باستعراض بعض النّماذج وتصنيفها حسب طبيعة موضوعاتها، وكذا تحليلها أنثروبولوجيا.

1. الجداريّة الأولى:

الجداريّة رقم 01

التّعليق على الجداريّة رقم 01:

الارتباط بالوطن ضرورة وحتميّة عند كلّ فرد من الأفراد تجاه المجتمع الذي وُلد فيه وترعرع بين أحضانه متلمسا فيه الانتماء ومتحسّسا فيه روحا خيرية يبدؤها بذرة تكتمل وتزدهر أخيرا بالعمل وبناء الوطن والارتقاء به أو الدّفاع عنه تجاه أي عدوان خارجي.

وهذه الجداريّة تحمل الكثير من هذه الدّلالات والمعاني:

كبرت فيك يا وطني

وحلمي ضاع فيك

هنا يبدأ بأمل سعيد ينتهي بخبة غير متوقعة وهزيمة مرّة تهدّ الرّوح والجسد، وهو ما يجعلنا نحسّ بذلك عند وقوفنا لقراءتها وتأمل ما تجود به لغتنا لتجعلنا نقف موقفا مساندًا يجسّد الإحساس بمرارة الواقع حين يشعر الإنسان بالغربة تجاه وطنه، وبعد أن يعقد آمالاً، فكان أكثر ما يجعلنا نستشعر ذلك هو لغة التخاطب مع الوطن القائمة على استعمال ضمير المتكلم (أنا) في كلمة **"كبرتُ،** والأكثر من ذلك ياء النسبة للمتكلم في الكلمتين "وطني، حلمي" اللتين تجسّدان روح الانتماء والإحساس الصّادق بذلك وما كان يتمنّاه مستقبلا، ولكن الظروف قد شاءت عكس ما كان يريده ويتوقعه وإن اختفت طبيعة وأسباب هذه الخيبات التي سبّبت الحلم الضائع للأبد.

وهنا يكمن تلمس العاطفة الصّادقة الّتي تعكسها طبيعة هذه الكلمات والنّية الحسنة التي قُهرت وانكسرت، ومثل هذه الكلمات والأماني هي ما تطبع عقلية ونفسية الشباب والمراهقين اليوم، ولكن للأسف متى استحال ذلك تحوّل التّفكير مباشرة نحو الهجرة غير الشرعية فإمّا الحرقة أو الموت غرقا وأكل الأسماك تفضيلا عن خيبات الواقع المريرة والمؤلمة التي لا تُحتمل، ومن جانب آخر "كاف الخطاب" في كلمة "فيك" يعكس دلالات عميقة خاصّة بظاهرة التكرار التي كان لها وقعها هنا، وهي تعكس كونها حرف الجرّ + الكاف مرارة الإحساس النفس المنكسرة الّتي نراها أيضا مقرونة بحرف النّداء "يا"، وقد كان هذا النداء مدويا في النفس لدى كل قارئ يقرأها بصوت جهوري يجلب الانتباه ليتبعه بجملة قاسية تحمل في طيّاتها الضياع والوهن والخسران.

وقد تداخلت كل هذه المعاني مع بعضها لترسم صورة نفسيّة مأزومة ومكبّلة بالقيود جعلت صاحبها في حيرة ودون حراك وكأنّه في دوّامة لا يعرف لها نهاية وهو ما يجسّدها برمز 😟 الذي يدل على ذلك، وقد كان الأيقون مناسبا للتصوير والتجسيد خاصّة وأنّه جعله في أسفل اللّغة اللّسانية

وتمركز في وسط الجملة، وإن كنّا نستشعر بصيصًا آخر للأمل يراه صاحب الجدارية الحل الأمثل له هنا من خلال كلمة Libertie وإن كان فيها خطأ في كتابتها (Liberté) إلّا أن المقصد منها يصل لأنّ التركيز على الكلمة الأجنبية التي راج استعمالها وتداولها على الألسنة حتى بين من لا يعرف أو يتقن جيّدا اللغات الأجنبية، وما تحمله من معانٍ يناشدها ويراها تعبيرا عن مكبوت من جهة، وتجسيدا لحلم ضاع نصفه ونصفه الباقي يسعى لتداركه بالحرّية الوهمية.

وقد ساعد اللّون الأزرق القاتم هنا على تجسيد ذلك خاصة بما يدل عليه هذا اللون الذي يبعث على التفاؤل والنظرة المستقبلية البعيدة.

كما مزج صاحب الجداريّة بين اللغتين العربية والفرنسية للفت انتباه القارئ بجميع فئاته وتوجهاته، وإقناعه وإيصال رسالته هذا من جهة، ومن جهة أخرى تدل على مستواه الفكري وبراعته في التّعبير لتكون أكثر جاذبية وأقوى تأثيرا.

2. الجداريّة الثّانية:

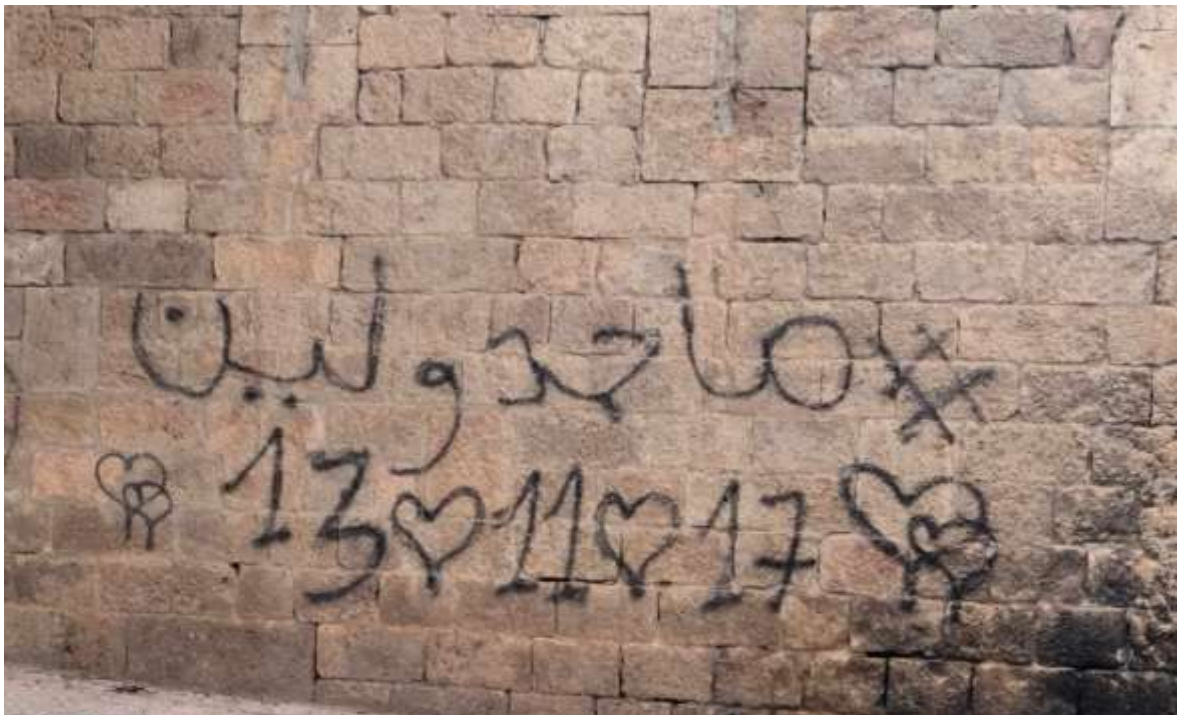

الجدارية رقم 02

التّعليق على الجداريّة رقم 02

لأنّ الرّسومات الحائطيّة مرتبطة كثيرا بفئة الشّباب والمراهقين فإنّ هذه الصّورة خير دليل على ذلك، فهي تحمل الكثير من الدّلالات المرتبطة بالعلامات اللسانيّة والأيقونيّة، فمن جهة نجد اسم "ماجدولين" الذي تصدّر الجدار من أعلى يوحي لنا مباشرة باسم رواية "ماجدولين" للكاتب المصري "المنفلوطي"، وهي سمة عاطفية على شخصية الرّواية الرّئيسية والأكيد أنّها ترتبط باسم الحبيبة اتّخذت هذا الاسم المعبر عنها وعن سماتها، ويمكن أن يكون اسما مستعارًا مستعملاً في إحدى وسائل التواصل الاجتماعي وذلك كثير ومشهور خاصّة بين مختلف فئات الشباب والمراهقين، وقد اتبعها صاحبها بقلبين متداخلين من جهة اليمين و آخرين على اليسار وبينهما نجد "**17** ♡ **11** ♡**13** " والأكيد أنّه يحمل تاريخ التّعارف مع "ماجدولين" حبيبته من قام بكتابة اسمها الافتراضي على هذا الجدار وما يدل على قصّة الحب هو كثرة القلوب التي تضمنتها.

كما يمكن ملاحظة حسن الصدفة المرتبطة بطبيعة هذه الأعداد كونها أعداد فردية، وعادة ما ترمز الأعداد الفرديّة إلى الوحدانيّة أو الفردانيّة بعيدا عن الاختلاط، كون من كتب هذه الجداريّة يعاني من بعده عن حبيبته أو فراقه عنها، وقد سبّب ذلك شعورا بالوحدة والألم وإلا لما كان قد جسّد ذلك على جداريّة تخلد في نظره أو فكره، هذه القصّة الفريدة المتميّزة التي يقف عند ذكراها متذكرا الأطلال الماضية لتعيد له ذاكرته وخياله. جمال المكان والحبيبة، وما انعكس يوما على حياته، لذا لن ينساها أبدا ما دامت حيّة في فكره، كما لن ينسى ما كتبه في هذه الجداريّة ما لم تُمْحَ ولئن كانت هذه الصّورة بسيطة في ظاهرها إلا أنّها تعكس عمقا عاطفيا صادقا بطريقة عفوية جسدتها لغتها وأيقوناتها القلبية المرتبطة بالحب، ولا نستغرب ذلك لأنّ التّعبير عن الحب عادة ما يكون بعيدا عن أعين الرقباء خاصة عند المراهقين.

وقد ساعد اللون الأسود على وضوح الصّورة شكلا ومضمونا، ولعل الرّسالة الأيقونيّة المستهدفة قد وصلت إلى ذهن المتلقي عموما بمن فيهم كل من وقعت عينه عليها.

وقد كان التّناغم بين لغة الألوان ولغة الرّموز حقيقيا يعكس مدى الحالة العاطفيّة لدى صاحبها المتدرجة بين الحب والوفاء، والإخلاص المرتبط حتى بذكر التّاريخ، وهذا ما يجسد قيّم الحب والغرام تجاه المحبوبة، وإن اختلفت طرق التّعبير عن ذلك بين الأمس واليوم خاصة عند المراهقين.

03. الجداريّة الثّالثة (جداريّة دوار الغربة):

الجداريّة رقم 03

التّعليق على الجداريّة رقم 03:

يرتبط الأفراد بالوطن ارتباطًا عاطفيًا كونه منبع الحنان والعطاء، كالأم الحنون التي تحتضن أطفالها وتمنحهم الشّعور بالأمان والسّكينة، وهو النواة التي يعم من خلالها الخير والعطاء على أبنائه دون استثناء أو تمييز، ولكن عندما يتحول الوطن إلى منفى يكون الإنسان محطما، وهذا ما تحيل إليه

الكتابة الجداريّة التي عُنونت بـ "دوار الغربة" العبارة جاءت موجزة مازج فيها بين لفظين عامي وفصيح، فأضفت على الجداريّة نوعًا من الواقعية والصّدق؛ فاللغة أهم مكوّن جمالي وإبداعي، وهي تشابه قصيدة التّوقيع كونها مفتوحة على عالم مترامٍ من التّأويل والتّحليل والشّرح.

وكلمة "دوار" في المخيال الشّعبي تدل على مناطق الظل المهمشة لافتقارها لأبسط ضرورات الحياة، وقد اقترنت بها كلمة الغربة لتكون أكثر دلالة وإيحاء على إحساس الإنسان –في هذه الرقعة الجغرافيّة––العزلة والبعد والمشاعر السّلبية المرافقة نتيجة الانقطاع عن الأهل والأجواء المعتادة، ويتغرّب الأنسان غالبا من أجل الدّراسة أو ربح مادي أفضل، ويطمح إلى الوصول إلى مستوى معيشي مرموق على حساب تغربه عن أهله أو يغترب بشكل قسري في حالات الحروب وانعدام الاستقرار الأمني والسّياسي، وهذه التّسمية أُطلقت على حيّ من أحياء حمام النبائل وهي إحدى بلديات قالمة، فعبّر عن السّلبية المطلقة وكان أكثر واقعية وإيحائية، وصوّر من خلاله الوضع النفسي المزري وشعوره بالغضب والحزن، حيث عبّر عن التّعدي عليه وعلى حقوقه، فالأوضاع في البلاد مزرية طبعت شعور النفسية له، فتناغمت كل الأيقونات لتعبر عن حالته المزرية وتنقل معاناته.

4. الجدارية الرابعة:

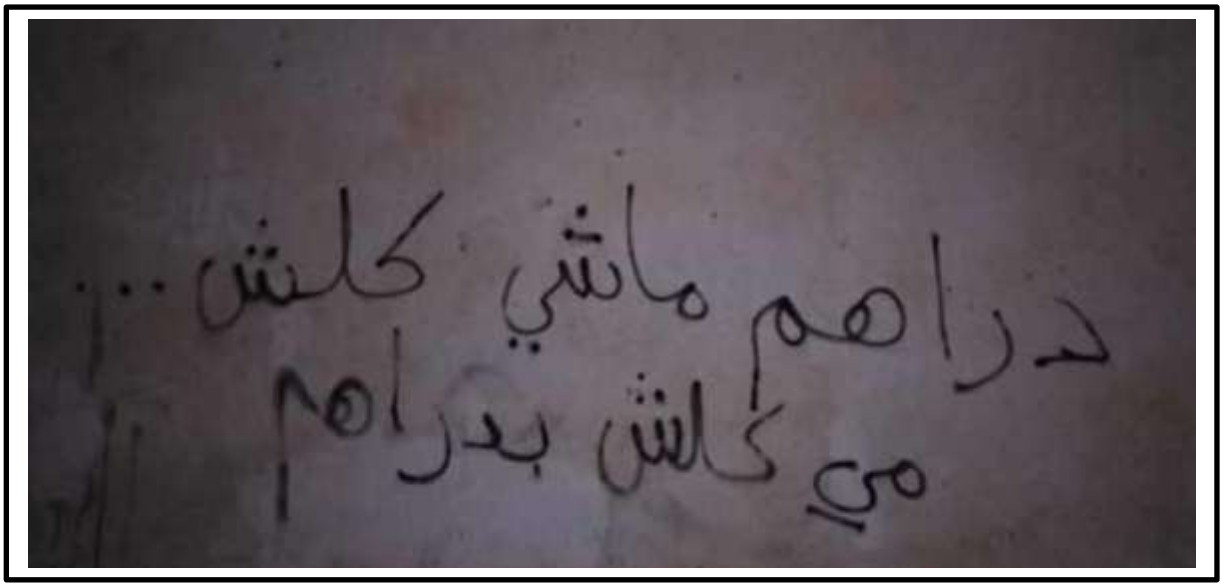

الجداريّة رقم 04

التّعليق على الجداريّة رقم 04:

يعدّ جمع المال هاجس الشّباب، فحبهم للمال والثّروة يصدمه بواقع ينقص من قيمة هذا الأخير، وهذا ما تجسده الجدارية المعنونة بـ: **"دراهم ماشي كلش مي كلش بالدراهم"**

تحمل هذه الجداريّة الكثير من الدّلالات والمعاني، حيث قال الله تعالى في سورة الكهف ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[1]، لكن العرف الاجتماعي يؤكد أنّ المال ليس كل شيء باعتبارنا أمة مسلمة فهناك أساسيات أخرى في الحياة منها الصحة، راحة البال، العائلة، صدق العاطفة، الأخلاق... وهذا كله شكر لله على نعمه؛ فصاحب الجداريّة عاش تجربة مريرة والواقع قبع على نفسيته، فلقد كان لمعاينة الواقع بالتّجربة وقْع قوي وصدى مدوي، فقوله "كلش بالدراهم" يبيّن أنّ المال أصبح معيارا للسّلطة، وأصبحت المناصب تُشترى بالأموال، وتضيف قيمة اجتماعيّة كبيرة تجعل صاحب المال يتفوق في وزنه الاجتماعي وتأثيره كما يقول المثل الشّعبي "عندك دورو تسوا دورو".

فهنا خروج عن النّسق المعتاد حيث أصبح للمال هالة من القداسة لتتغير النّظرة والقيّم المعنويّة، ويصبح جمع المال الهدف الأول للشّباب بغضّ النّظر عن مصدره حلالا أم حراما في ظل انتشار موجة الرّبح السّريع؛ فهذه المقولة تحمل أسفا وقهرا خفيا، عمد كاتبها إلى تجسيدها على الجداريّة ليعبّر عن هذا القهر والهاجس الذي يتملكه.

فالجداريّة بسيطة في كلماتها عميقة في مضمونها، واستعمال كلمة "دراهم" مرتين في صيغة النكرة في حين أن تكون معرفة لأنها خاضعة لأحكام العامية وكل شخص يكتبها على حسب معرفته.

[1]- سورة الكهف، الآية 46.

وكلمة "دراهم" وردت نكرة لتكون معممة غير مخصصة، فهي تتعدى بالدّلالة إلى كل ما يتعلق بدراهم من جنسه، فهنا عمد إلى تجسيد ألمه النفسي وتأثره بفقدانه للسلطة والمال والحياة، فنظرته براغماتية فرضها الواقع، فصار يفتقر للقيم والمبادئ متناسيا أن القناعة رأس الغنى تغني عن السّؤال وحفظ ماء الوجه، وغياب الوازع الدّيني له دور كبير في انتشار مثل هذه الأفكار، كما عمد إلى استعمال اللفظة "مي" أصلها "Mais" كلمة فرنسية بمعنى "لكن" تُستعمل كثيرا على اللسان الجزائري لسهولتها، فهنا تثبت لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها، واعتماده على استعمال التّكرار المتطابق لكلمة دراهم «**ويتم فيها تكرار الوحدات بشكل تام متطابق من دون تغيير مما يولد إيقاعا رتيبا**»[1].

5. الجداريّة الخامسة:

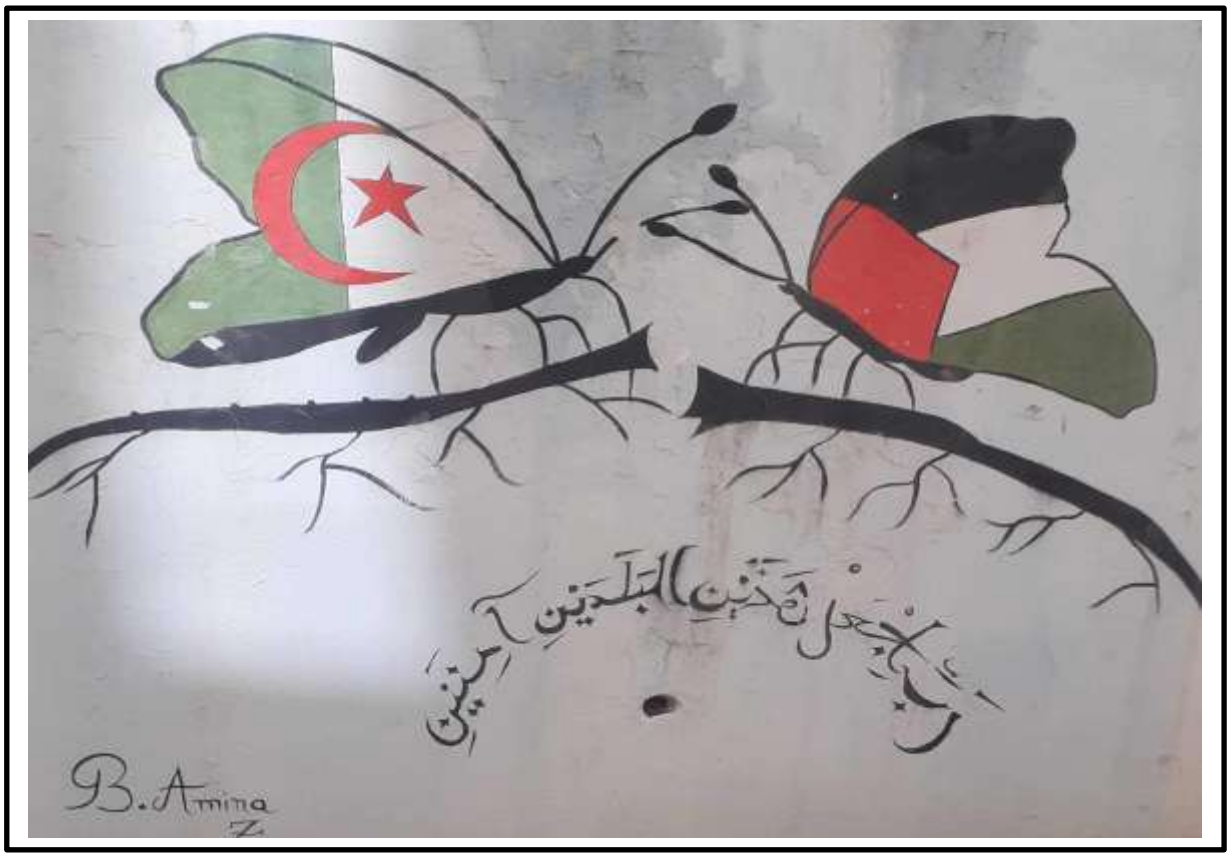

الجدارية رقم 05

[1]–سؤدد عبد الغني شياع، الأبعاد الجمالية للجداريات النحتية في المعابد المندائية في بغداد، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، مج: 14، ع: 4، 2021، ص2269.

كما يمكن ملاحظة الصدفة المرتبطة بطبيعة الأشكال الموجودة في هذه الجداريّة مثل الفراشة التي نجدها عادة ترمز إلى السّعادة وبهجة الرّبيع وتفتح الأزهار والخير، إضافة إلى الغصن الذي بدوره يرمز إلى السّلام في العالم قديما وحديثا، فأسطورته كرمز للسّلام جعلته أشهر حتى من الشّجرة ذاتها وارتبطت ذهنيا بشكل وثيق بأسطورة الطوفان في عصر النبي نوح عليه السلام، الذي يرجع له الفضل في إنقاذ الإنسانية جمعاء من المحو والانقراض[1].

أمّا لغة الألوان المصاحبة لهذه الجداريّة لها دلالات عميقة، وغالبا ما يتم استخدام معاني الألوان في أعلام الدول والأعلام بصفة عامة لتمثيل الموقع التّاريخي والأخلاقي للمكان أو الفرد أو الدولة التي يمثلونها، وألوان الشّعار تختلف باختلاف البلد والمنطقة والألوان، ورموز أعلام دول العالم المعروضة عميقة.

ففي هذه الجداريّة نجد ألوان العلم الفلسطيني له دلالات كثيرة؛ فمثلا اللون الأسود يمثل قوة الإرادة وهزيمة العدو، واللون الأبيض هو رمز للسّلام والطّهارة والوئام، أمّا اللون الأحمر فيعتبر رمز سفك الدماء وأيضا القوة، والثّورة، والحرب[2].

أمّا اللون الأخضر فهو رمز الأمل والقوة والخلود، فعلماء البيئة قد أضافوا إلى اللون الأخضر وإلى رمزيته درجة أخرى وهي الحنين إلى الماضي، كأن ربيع الأرض سيغيب حتما وبلا شفقة تحت منظر كابوسي[3].

أمّا دلالة ألوان العلم الجزائري فيمثل اللون الأبيض رمز السّلام والنّقاء، اللون الأخضر رمز الازدهار وثروات البلاد، أمّا اللون الأحمر فيدل على دماء شهداء ثورة التّحرير، أما الهلال والنجمة

[1]- هشام اليتيم، غصن الزيتون..أكثر من مجرد رمز للسلام، مجلة أنديبندنت عربية، 2021/03/21.

[2]- ولاء سليمان، معاني الألوان في أعلام الدول، المرسال، 2023/12/26.

[3]- محمد حمود، كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها ودلالتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص93.

فهما رمز الإسلام بصفته دين الدّولة الرسمي والذي تعتنقه الغالبية العظمى من الجزائريين أي أكثر من 99% من الجزائريين المسلمين.

وقد كان التّناغم بين لغة الألوان ولغة الرّموز حقيقيا يعكس الحالة النفسية والعاطفية لدى صاحبها المتدرجة بين حب الوطن، والوفاء، والإخلاص المرتبط بالدّعاء للدولتين الجزائر وفلسطين، وهذا ما يجسد موقف الجزائر من القضية الفلسطينية، وحقوق الشّعوب في تقرير مصيرها.

كما نجد أيضا التّوقيع أسفل الجداريّة الحامل لاسم "أمينة بن خرشوش" وهو توقيع على غير العادة مثلما هو معروف عن الجداريات عموما، وفي ذلك ارتباط عميق وصلة واضحة بالطّلبة الفلسطينيين الذين يدرسون بالجامعة الجزائريّة، وشعورهم بروابط الأخوة والأمن والسّلام...

وبذلك شكّلت هذه الجداريّة رمزًا ومثلًا يُضرب في التّضامن والاتّحاد بما شكّله توزيع الأشكال فيها، يقع عليها بصر المتلقي أولا متأملا كوامنها ودلالاتها، وبما عبّرت عنه من أيقونات ولغة، كان لها تأثيرها النّفسي العميق.

6. الجداريّة السّادسة:

الجداريّة رقم 06

التّعليق على الجداريّة رقم 06:

عرفت كل المجتمعات ظاهرة المخدرات، والإدمان عليها في تزايد وتفاقم، والجدارية تتكون من جزأين: **"قارو"** هذه الكلمة العامية تحيلنا إلى السّيجارة، وأما الكلمة الثانية تخصص المادة المكوّنة لهذا القارو، فدلالة العبارة لدى الفئة المتعاطية تعبر عن مدى الشّعور بالفرحة والسّرور والبهجة للمتعاطي، وهذا يكشف مكبوتات الشّباب، فيحاول الهروب من الواقع والانسلاخ من القيم الثقافية والدّينية ليصنع لنفسه بيئة فردية بعيدة عن القيود ليستمتع من خلالها بورقته ونشوته، وتبقى مشكلة اجتماعيّة أكثر ضررًا من المشاكل الأخرى، فرغم اتّساع دائرة الإدمان لدى الشّباب تبقى كل الدول تحرّم وتجرّم وتعاقب متعاطيها.

صاحب الجداريّة هنا أراد أن يتجرّد من هويته الدّينية والثّقافيّة، ويستجدي بعدا آخر من الإدمان، وهو الإشادة بأنواع المخدرات والإشهار لها، ومدى تعلق المتعاطي لها ورفض المجتمع لهذه الممارسة جعله يلجأ للتّعبير عن حاجاته وأفكاره من خلال الجداريّة، فجسّد شخصيته الحقيقية وبكل جدية، وأراد أن يتجرّد من هويته الثّقافية والدّينية دون أخذ أي اعتبار للقيم والسّلوك المجتمعي، وصرّح بسلوك مرفوض وتفاعل سلبيا مع محيطه متجاوزا كل الضّوابط التي يستخدمها الأفراد وقرّر الخروج عنها إرادة للتّعبير عن كل ما يريد.

لكن الرمزية هنا هي عزم الغرافار على أن يخرج هذا السّلوك من دائرة المحرم والإجرام إلى القبول الاجتماعي، وجعل سلوك تعاطي المخدرات سلوكًا لا يناهض القيم المجتمعية، بل إن ممارس هذا السّلوك فرد عادي غير مرفوض اجتماعيا.

ويذكر "مجدي أحمد عبد الله" في كتابه "أزمات الشّباب والمراهقة": «**نظرا إلى ما تتصف به هذه المراحل العمرية من مظاهر نفسية وسلوكية غير مستقرة مثل: تقلب المزاج، وضعف الاتّزان الانفعالي والحماسة الفارطة تجاه المواقف الضّاغطة ومحاكاة الكبار والرغبة في**

الحصول على الإثارة والمتعة والتّأثر بالأقران، هذه المظاهر تعد نتيجة لما يسود الشّخص في تلك المرحلة من عمليات النمو الجسدي والنفسي يكون أقل منها نضجا وأكثر اندفاعا، مما يؤدّي به إلى اتّخاذ بعض السّلوكيات الخارقة للأنظمة الاجتماعيّة»[1].

7. الجداريّة السّابعة:

الجداريّة رقم 07

التّعليق على الجداريّة رقم 07:

القضية الفلسطينية هي قضية الأمّة الإسلاميّة، وليست قضية الفلسطينيين فقط، وقد شغلت هذه القضية بال الكثير من الشّعراء والأدباء، فحاولوا تلمس واقعها ومعاناة شعبها، وما يلاقيه من ظلم واضطهاد، وقتل وتعذيب من اليهود، مساندين بذلك قضيتها ومتأسفين على حال العرب

[1]- مجدي محمد أحمد عبد الله، أزمة الشّباب ومشاكله بين الواقع والطموح، دار المعرفة للنشر، مصر، 2013، ص29.

وخذلانهم لها خاصة الحكام العرب العاجزين والمتهاونين عن أي ردّ فعل ضدّ عدوان اليهود، ودون أيّ إحساس بمعاناة إخوانهم في فلسطين.

كما شغلت القضية الفلسطينية بال شعبها بالأخص الذي دافع عن بلده ودينه، ودفع من روحه دماء غالية، كما دافع بمختلف الوسائل التي عبّر فيها عن رفضه لممارسات اليهود ضدّه بما فيها الكتابات الجداريّة التي نجدها حاضرة بقوة إذا تحدثنا عن الكتابات الجداريّة عند العرب، ولا يخلو الحديث فيها عن خصائصها ومميّزاتها، وحضورها، لما صوّره الفلسطينيون عن قضيتهم وحقهم، وبما سيصورونه بحر لا يزول.

ولأنّ الجزائر أول دولة دافعت ومازالت تدافع بصدق عن القضية الفلسطينية حكومة وشعبا، فقد جسّدت أيضا دفاع الجزائريين عنها حتى بالكتابات الجداريّة التي لا تخلو من مساندة ودعم من جهة، أو تعبّر عن خذلان العرب لهم لما يعيشونه تحت وطأة اليهود من جهة أخرى مثلما تجسده وتؤكّده هذه الجداريّة التي جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري، فقد تهكمت وسخرت من الضّعف والخنوع والخضوع الذي آل إليه العرب، هناك أمور أخرى اخترقها العرب وتهاونوا عن فلسطين في عدّة أمور سياسية أو اجتماعيّة أو إنسانيّة، لكن هنا تجاوز الأمر عن السابق لقضية خطيرة عدم تحريك سيارات الإغاثة لغزة، معنى تحريك هنا لها دلالات توحي بالخزي والعار لأنّ الأمر مهول؛ فهو يحمل معنى أنّ السّيارات التي تقدّم العون موجودة ومليئة بالمساعدات لكن لا تتحرك بسبب ضعف العرب وخوفهم من إسرائيل، الفعل "حرّك" ومصدره تحريك أعطى دلالة قوية هنا لتوحي بحج الخزي والعار.

8. الجداريّة الثّامنة:

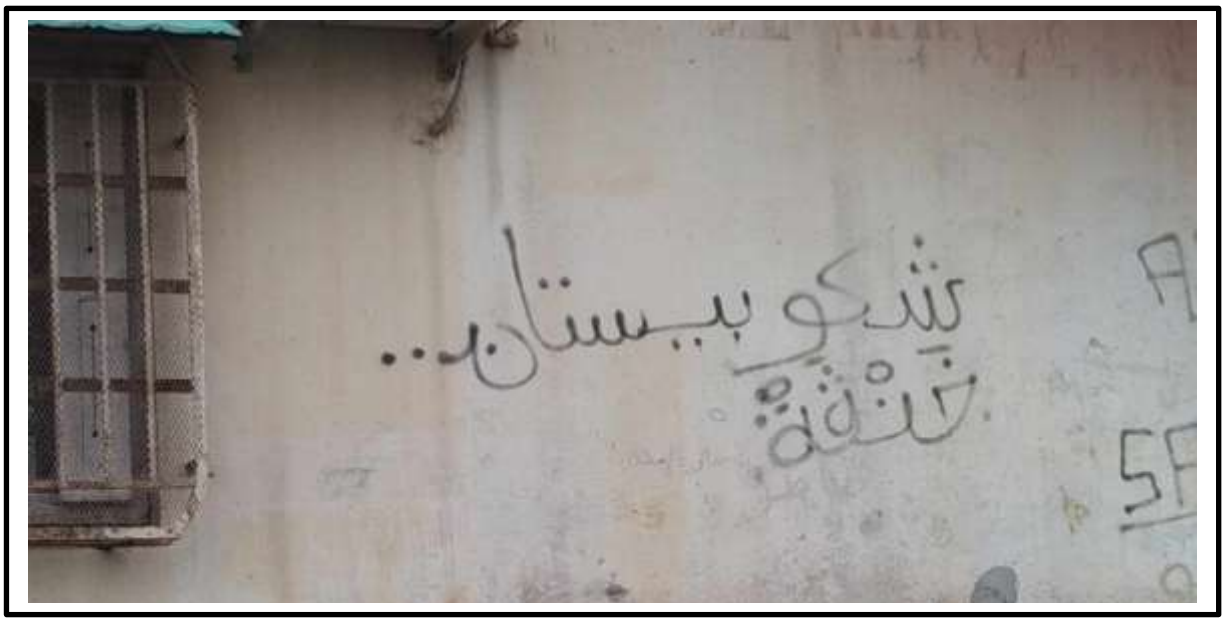

الجداريّة رقم 08

التّعليق على الجداريّة رقم 08:

يوحي مضمون هذه الجداريّة بالفراغ واللا شيء وفقدان الأمل في البلد، والضّغط النّفسي الذي يحسّه صاحبها، حيث يتضح أنّه يشعر بالاختناق، باعتباره يمثّل مشهدا من مشاهد الحياة اليومية الواقعية حيث عمد للسّخرية من جهة، والتّعبير عن تأزّم حالته من جهة أخرى.

وقد جاءت الصّورة بسيطة في ظاهرها عميقة في دلالاتها ومقاصدها، كونها تترجم ما في ذهن صاحبها بطريقة عفوية وإيحائية في الوقت نفسه، حيث يقول "شكوبيستان خنقة"؛ وهو هنا يريد أن يلفت انتباه القارئ لها ويرسخ معناها في ذهنه، وتوحي بالمقصدية الهادفة من خلال اعتماده على العامية في التّعبير؛ إذ تدل على توجيه انتقاد للدولة الجزائرية سياسيا واقتصاديا نتيجة معاناة الشّباب ورغبتهم بالهجرة من البلاد، لذلك أصبحت كلقب للجزائريين فمثلا يقول: "شكوبيستان مرّ أو مرّت من هنا" بمعنى جزائري أو جزائرية مرّ أو مرّت من هنا.

إضافة إلى دور الألوان في هذه اللوحة؛ حيث جسّد اللون الأسود الظّلام والانطواء والعتمة الخانقة، كما تكوّنت العبارة من كلمتين؛ الأولى طويلة نوعا ما، والثانية قصيرة ولكن حرفها متقاربة المخارج لا تكاد تظهر، وهذه العبارة كُتبت بالعامية فيها أخطاء دالة على أنّها ذات طابع شعبي ويريد إيصال صوته والتّعبير عن واقعه بأي أسلوب، أمّا المضمون فهو يعبر عن حالة نفسية واجتماعيّة تتمثل في الوضع المزري الذي أدّى بالشّباب إلى التّفكير في الهجرة غير الشّرعية.

بناء على ما درسناه في الفصل الثاني التطبيقي، اتّضح لنا أنّ مختلف الكتابات الجداريّة هي من إحدى الظّواهر الاجتماعية والنفسية الفعالة في المجتمع القالمي كما هي فعالة في أي مجتمع من المجتمعات العربيّة والعالمية.

وقد جسّد فيها أصحابها أفكارهم ومعتقداتهم وشعورهم وآمالهم التي ارتبطت بطبيعة أعمارهم كونهم شبابا ومراهقين، وجعلوها وسيلة اتّصال غير مباشرة مع أفراد مجتمعهم، لتبقى شاهدة على كل ما عاشوه وخَبِروه في الحياة بحلوها ومرّها.

وتبقى الجداريات خزّانا عميقا ينتظر من يُخرج مكنوناته إلى الوجود بدراسات وافية أكثر، خاصة من مختصين نفسانيين واجتماعيين في انتظار معالجة مشاكل الشّباب.

خاتمة

أصبحت الجداريّات وسيلة رائجة للتّعبير بين مختلف الشبان والمراهقين في مختلف البلدان التي تعيش خاصة صراعات اجتماعيّة أو نفسيّة أو اقتصاديّة، كونها تترجم معاناتهم وآلامهم، وإن تعدّدت تمظهرات ذلك تبقى مثل هذه الجداريات تبعث رسائلها لكل متلق يراها ويقف أمامها متأملا كوامنها، ولا يعتبرها مجرّد خربشات حائطيّة لا طائل من ورائها.

وقد حاولنا في بحثنا مقاربة موضوعات الكتابات الجداريّة أنثروبولوجيا، وقد أسفر البحث عن مجموعة نتائج أهمها:

- ✓ تبقى الجداريات –شئنا أم أبينا– تمثّل نسيجًا مجتمعيا هاما لفئة من المجتمع تعبر عن ثقافة ملتحمة مع روح العصر والواقع، لتؤسّس هوّية مغايرة في نظر أصحابها مهما كانوا.
- ✓ شكّلت الكتابات الجداريّة وسيلة اتّصال غير مباشر مع المتلقي، لكنها ساهمت في الحفاظ على واقعية الأحداث بصدق، وإعطاء صورة حقيقية عن المجريات بأسلوب هزلي أو ساخر، أو ناقد يترجم ما في ذهن صاحبه، فهي لا تُلزم كاتبها مسؤولية معيّنة كونها مجهولة المصدر، إذ لا مراقبة مفروضة على كاتبها.
- ✓ إنّ هذه الكتابات الحائطيّة قد تكون فعلا أو عملا يهدف إلى التّغيير أو الإبلاغ، أو الإعلام تشتمل كلّ قضايا المجتمع، وتكشف عن العديد من الجوانب الثّقافيّة والاجتماعيّة، والسّياسية الهامة التي تجعلنا نقرأ الرّاهن والواقع الحقيقي المعاش، بما يتضمنه من دلالات وأيقونات يعتمدها لمخاطبة الجماهير الشّعبيّة أو السّلطة بطريقة خاصّة.
- ✓ الكتابات الجداريّة تحدث بالتّأثير على المجتمع الذي يعكس عملية التّواصل مع المتلقين مهما كان نوعهم أو مستواهم، وترتقي لتكون ممارسات فنّية معظمها رائع في التّصوير البارع والتّجسيد، وليست مجرّد شكل من أشكال التّلوث البيئي والإيذاء المعبّر عن تدني مستوى الوعي والفهم والإدراك، خاصة في ظلّ عدم الالتزام بقواعد اللغة.
- ✓ تصوّر الجداريات رؤى خاصة بصاحبها في عالم غابت فيه ذاته وحقوقه وهويته، وضاع هو معها، لذا تعتبر الجداريات بديلا للمكبوتات النّفسيّة الشّعوريّة واللاشعوريّة، كما تعكس وإن بطريقة غير مباشرة مستواه الفكري المرتبط بقضاياه الخاصّة والعامة.

✓ غلب الطّابع المثالي على أغلب الجداريّات المدروسة من خلال الاهتمام بجمال الشّكل حسبه، وهذا نوع من التّصورات المثاليّة التي يراها في واقع غير واقعه، وعالم غير عالمه، ومثل هذه الرّؤى مبنيّة على توجه خاص انعكس في اللون والشّكل والرّموز المصاحبة، بما يجعلها بعيدة عن الرّتابة والانغلاق نحو الاندفاعيّة المطلقة، التي تجعل المتلقي يشدّ أنظاره نحوها ولقيمها ولهدفها المحاكي للمضمون الذي يحقّق وحدة العمل الفنّي.

وفي ختام بحثنا ندعو من مقامنا هذا إلى ضرورة الاهتمام بالجداريّات أكثر، وتخصيص دراسات أكاديميّة تبحث في شأنها وخصائصها من مختلف التّخصصات المعرفيّة بما فيها الأدب، وربطه بمقاربات نفسيّة واجتماعيّة وأنثروبولوجيّة تستجلي الكثير مما غاب عنّا في جداريّات تتواجد على مستوى مختلف الأحياء والشّوارع في مختلف الولايات والبلديات.

واستكمالا لذلك ولتحقيق الفائدة المعرفيّة أكثر، تقترح ضرورة دراسة دلالات الرّموز المختلفة في الكتابات الجداريّة كونها لغة غير ناطقة إلا أنّها معبِّرة، وهذا في سعينا للارتقاء بها كي لا تبقى مهمشة ومغيَّبة محلّيا وعربيّا وعالميا، بما يثبت قيمتها وفاعليتها في ظلّ ما يشهده العالم من متغيّرات ومستجدّات وظروف.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

أولا: المراجع:

المراجع العربية:

1-بركات سعيد محمد، الفن الجداري؛ الخامة، الغرض، الموضوعات، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، مصر، ط1، 2008.

2-خليل أحمد خليل، الشّعارات والصّحافة الجدارية في كتابه مبنى الأسطورة، دار الحداثة، بيروت، 1979.

3-خليل أحمد خليل، مبنى الأسطورة، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1979.

4-غزلان هاشمي، الكتابة الجداريّة في الوطن العربي، 2024.

5-كريم محمد، الكتابات الجدارية، دراسة سوسيولوجية بمستغانم، 2013/2012

6-نورة عامر، التصورات الاجتماعيّة للعنف الرّمزي من خلال الكتابات الجداريّة.

المراجع الأجنبية

7-D.Bilodeau ; les murs de la vélle, les graffitis de montréal liber, 1995.

8-Nicolas gons , graffiti world street art frofive contrinent, new york horsy; alranspulished, 2004.

ثانيا: المعاجم والقواميس:

9- ابن منظور، لسان العرب، مج: 02، دار الحديث، القاهرة، 2003.

ثالثا: المجلات:

10-ثقافة الكتابة على الجدران؛ كسر الحدود، تأثير ثقافة الكتابة على الجدران، مجلة فاستر كابيتال، 2024.

11-سؤدد عبد الغني شياع، الأبعاد الجماليّة للجداريات النحتية في المعابد المندائيّة في بغداد، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، 2021.

12-صلاح الدين باوية، الكتابات الجدارية بحاجة إلى التفاتة، كتابات شبيهة بأدب التوقيعات أو قصائد الومضة، مجلة المساء، 2024.

13-عبد الغني خشة، الكتابات الجدارية بحاجة إلى التفاتة؛ يجب الانتباه إلى الكتابات الجداريّة وإخضاعها للتّحليل الأنثروبولوجي، مجلة المساء، 2024.

14-مرح البقاعي، عصابات الغرافيتي والجدارية، مجلة الحوار المتمدن، 2004.

15-نورة عامر، الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، ع: 01، الجزائر، 2020.

رابعا: الرسائل والأطروحات الجامعيّة:

16- جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية؛ دراسة ميدانية لعيّنة من الطلبة الجامعيين، جامعة الحاج لخضر، باتنة، رسالة ماجستير في علم النفس، 2014.

17- مصباح بوطبة، مضامين الكتابات الخربشية لتلاميذ المرحلة الثانوية؛ دراسة ميدانية لبعض ثانويات مقاطع الغيرة، مذكرة ماجستير، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2017.

خامسا: المواقع الإلكترونية

http//:www.Fonon.net/2134 11:50

https://www.pahelestine-info.com/arabic/books/shearat/shear4htm

www.alqabas.com.kw/article.aspx?id381493
https://www.alwatan voice.com/articles.php?go=articles&=15610

www.youtube.com/@atayib.afkary

https://m.alhewar.org/s.asp?aid=26837&r=0
https://www.youtube.com/watch?v=Q0SCXZmYTSM
https://www.youtube.com/watch?v=vEqGzQJ-cjw

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدّمة.....	أ-جـ
الفصل الأول: مفاهيم في الكتابة الجداريّة	**06-**
أولا: تعريف الكتابة الجداريّة.....	06
1.لغة.....	06
2.اصطلاحا.....	07
ثانيا: خصائص الكتابة الجداريّة ومميّزاتها.....	09
ثالثا: تاريخ نشأة وتطور الكتابات الجداريّة.....	11
1. تطور الكتابة الجداريّة عند الغرب.....	12
2. الكتابة على الجدران في الوطن العربي.....	14
رابعا: الكتابة الجداريّة والهامشيات.....	17
الفصل الثّاني: التّحليل الأنثروبولوجي لعيّنة من الكتابات الجداريّة	40-25
الجداريّة الأولى.....	25
الجداريّة الثانية.....	27
الجداريّة الثالثة.....	29
الجداريّة الرّابعة.....	30
الجداريّة الخامسة.....	32
الجداريّة السّادسة.....	35
الجداريّة السّابعة.....	37
الجداريّة الثّامنة.....	38
خاتمة.....	42
قائمة المصادر والمراجع.....	45
فهرس الموضوعات	48

ملخص البحث:

يهدف بحثنا الموسوم بـ "**الكتابات الجداريّة في منطقة قالمة –مقاربة أنثروبولوجية–**" إلى تحليل بعض الجداريّات في منطقة قالمة واكتشاف مضامينها، والتّعرف على طبيعة الفرد القالمي واكتشاف ما يدور في مخيلته، وقد جاء هذا البحث في بناء هيكلي يتكون من فصلين؛ أحدهما نظري والآخر تطبيقي، حيث خصّصنا الفصل النّظري لعرض مصطلحات البحث ومفاهيمها، وتضمن الفصل الثاني دراسة لعيّنة من الجداريات بمنطقة قالمة، وختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحيّة: الكتابات الجدارية، منطقة قالمة، مقاربة أنثروبولوجية.

Abstract:

Our research entitled “Wall Writings in the Guelma Region - An Anthropological Approach” aims to analyze some of the murals in the Guelma region and discover their contents, and to identify the nature of the Guelma individual and discover what is going on in his imagination. This research came in a structural structure consisting of two chapters, one of which is theoretical. The other is practical, as we devoted the theoretical chapter to presenting the research terms and their concepts, and the second chapter included a study of a sample of murals in the Guelma region, and we concluded the research with a conclusion that included the most important results reached.

Keywords: wall writings, Guelma region, anthropological approach.